



معركة من أجل التعددية



تعريف الاعتدال بناءً على المعطيات الجديدة في المنطقة، إذ يرى أن الاعتدال كان في السابق مأخوذاً من الموقف من إسرائيل بغض النظر عما يعتمل داخل تلك المجتمعات من قمع للحريات وعدم احترام لقواعد التعدد وقواعد حقوق الإنسان، فهو يقول إن الاعتدال العربي يحتاج لإعادة تعريف؛ لكي يشتمل على قضايا محلية مثل التنوع السياسي والتسامح الديني والتشاركية.

إن حديثه عن الاعتدال وعلاقته مع إسرائيل وقضايا الإصلاح السياسي قاده إلى مناقشة الجماعات الدينية واطهارها في بداية الأمر بوصفها فزاعة لتخويف الداخل والخارج ثم ما لبثت هذه الفزاعة أن أفرزت ظهور العديد من الحركات والأحزاب الدينية، حيث وجدت تلك الجماعات فراغاً في الجانب الاجتماعي الذي تركته الأنظمة وفراغاً سياسياً أيضاً نتيجة تجريف الحياة السياسية أمامها.

وقد قسم المؤلف حركات الإسلام السياسي إلى قسمين رئيسيين القسم الأول الحركات الإقصائية العنيفة التي تشمل القاعدة وما تفرع بعد ذلك عنها، وكذلك السلفية الجهادية وحركة حماس وحزب الله بوصفها حركات مقاومة عنيفة. والقسم الآخر هي ما يسميها الحركات السلمية وقد مثل لها بأربعة نماذج هي حزب العدالة والتنمية في مصر كما يقول في الكتاب ويبدو أنه يقصد حزب الحرية والعدالة، وحزب النهضة في تونس، وحزب العدالة والتنمية في المغرب، وجبهة العمل الإسلامي في الأردن. وفي هذا التقسيم نوع من عدم التدقيق فبين هذه الحركات تداخل إذ تعد حركة حماس مثلاً فرعاً لحركة الإخوان المسلمين في فلسطين في حين أن هذه الحركات الأربع في مصر والمغرب والأردن وتونس هي امتداد لحركات الإخوان المسلمين على ما فيها من اختلاف نتيجة للتراكم المعرفي للمنتمين لها من بلد إلى آخر.

فالمنطلق الفكري والأيدولوجي لحركات الإسلام السياسي في أغلبها واحدة، وإذا كان المؤلف قد أصبغ الصورة الإيجابية لعمل تلك الأحزاب في البلدان العربية، فإنه حين وقف لتقييم أداء جبهة العمل الإسلامي في الأردن فقد كان يبدو أكثر دقة حيث إنه في موقع قريب يسمح له بالتعمق والتقييم بشكل أدق من النظرة العامة التي جعلته يبني أحكاماً على تلك الحركات في البلدان الأخرى مع أن أغلب تلك الحركات يقع في الأخطاء ذاتها في مختلف البلدان التي تعمل فيها.

إعادة تقييم:

يتساءل المعشر بعد ثلاث سنوات من بداية حركة اليقظة كما يراها عن الحكم الذي يمكن أن يصدره على هذا التغيير. وهو إذ يتساءل يُقدم الإجابة على شكل تقسيم البلدان إلى قسمين بحسب الوقت المتاح أمامها للإصلاح، فهناك دول مازال أمامها وقت لكي تصلح ذاتها وتحمي نفسها وشعبها، ودول لم يعد لديها الوقت الكافي فاستسلمت بعضها لإرادة الشارع وقاوم الآخر هذه الإرادة العامة ووقف ضدها وماتزال، ومن وقف هم المسؤولون المتقاعدون وأجهزة المخابرات ووجهاء النظام بوصفها الأكثر مقاومة للتغيير حتى عندما يفكر الحاكم نفسه بذلك. ويرى بأن الإسلاميين فقدوا قداستهم عند دخولهم المعتزك السياسي، والعلمانيون أيضاً فقدوا قداستهم ومصداقيتهم

خريجين قادرين على المنافسة في سوق الوظائف عالمياً، كما أنها تميل إلى الاستبدادية وليس فيها أي مجال للحوار أو النقاش ويتم تقديم محتويات الكتاب على أنها حقائق لا تقبل الجدل. ويخلص المعشر إلى أهم الخطوات اللازمة لإصلاح التعليم وتمثل بدعم التعليم من خلال دعم التجديد والإبداع وتشجيع الطلاب على الإنتاج وتسهيل ذلك لهم، كما يجب أن لا تستمر المدارس بتقييد اختصاصها على اكتساب الحقائق فقط بل يجب أن تعتمد تعريفاً للمعرفة يشتمل على التنمية الاجتماعية والعاطفية أيضاً، ويجب على الدول العربية أن تعلم الطلاب الصغار ما الذي يعنيه أن يكونوا مواطنين يشاركون ويساهمون في مجتمعاتهم بدلاً من التبعية.

ويبين المؤلف أن الصراع في العالم العربي طوال الفترات الماضية قد تقلص لينحصر في طرفين رئيسيين، وهما القوى التقليدية المتشبثة بالسلطة والتي تشكلت داخل شبكات مصالحها، والقوى الأخرى هي قوى الإسلام السياسي باختلاف مشاربها وأنواعها؛ لذلك يرى أنه لا بد من وجود قوى ثالثة قادرة على تحمل مسؤولية تنفيذ التعددية من خارج هاتين القوتين التقليديتين على أن تقوم على ثلاث قيم أساسية: التعددية، والاعتماد على أساليب سلمية فقط، والتشاركية.

الصراع العربي الإسرائيلي:

على الرغم من أن هذا الموضوع يمثل أهمية كبيرة في مسار الاستقرار والبحث عنه في المنطقة العربية، وأن الصراع العربي الإسرائيلي أهم عائق أمام حصول هذا الاستقرار، فإن وجود هذا الموضوع في هذا الكتاب قد وجد كما يبدو لتحقيق غايات تتعلق بسياسة المؤسسة التي يكتب في ظلها وتحت رعايتها. صحيح أن له ارتباط وثيق باليقظة، ولكن موضوع التعددية له ارتباط وثيق بالجانب الداخلي للشعوب العربية. يناقش المؤلف في هذا الجانب أهمية حصول السلام بين الجانبين العربي والإسرائيلي الآن وإن لم يحصل ذلك فلا يمكن أن يكون في المستقبل، وهو يقول إن أمام إسرائيل خيارين إما القبول بتوطين الفلسطينيين داخلها ومعنى هذا أن يصبح اليهود أقلية، أو القبول بحل الدولتين، وهو الحل الذي ينادي به المعشر والأمريكان.

ويرى المعشر أن الشباب في فلسطين لم يتحركوا على غرار ما عمل الشباب في تونس ومصر، ولو تحركوا ربما لأنجزوا شيئاً يذكر سلمياً على مستوى حل القضية والوصول بها إلى مستوى مقبول عالمياً، ولكن قد يغيب هنا على المعشر مقدار العنف الذي تقوم به إسرائيل تجاه الفلسطينيين وأن ما قامت به الأنظمة العربية القمعية لشعوبها ما هو إلا صورة مصغرة لما يمكن أن تقوم به إسرائيل.

الكتاب: اليقظة العربية الثانية والمعركة من أجل التعددية

المؤلف: مروان المعشر

المترجم: عماد إبراهيم عبده.

الناشر: المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2014م.

عدد الصفحات: 229 صفحة.

● شاعر وأكاديمي يمني

إذ لم يظهر التزاماً بالتعددية، وبذلك يكون الطرفان قد فقدوا قداستهما وسوف تعتبر الجماعات مسؤولة عن نجاح برامجها أو فشلها في تلبية احتياجات الناس. ويمر من خلال هذا التقييم السريع على تونس ومصر وسوريا والبحرين والأردن والمغرب، مفضلاً بصورة مفصلة طبيعة التحول وحركة التغيير بناء على معيار التعددية، ففي حين يرى أن نجاح حركة التغيير من الأدنى قد نجحت في تونس فإنها في المغرب مثلاً قد نجحت عبر حركة التغيير من أعلى واستباق الشارع بذلك.

العوامل الأساسية لبناء التعددية:

تكمن في القسم الثاني من هذا الكتاب الحمولات الفكرية التي يضعها المؤلف لبناء مجتمع حديث يؤمن بالتعددية فكراً وسلوكاً، وقد قدم هنا مفهوماً لها بأنها الالتزام السياسي بالتنوع في جميع الأوقات. وتعني أنه ليس لأي حزب احتكار الحقيقة وليس بإمكان أي حزب أن يفرض وجهة نظره على بقية المجتمع. وينبغي مثل هذا الالتزام أن يشتمل على تطوير نظام ضوابط وتوازنات يعمل على إعادة توزيع السلطة بعيداً عن السلطة التنفيذية ونحو السلطتين التشريعية والقضائية. وقد وضع في المقام الأول التعليم والفكر والثقافة وإصلاحها في سبيل الوصول إلى القبول بالتعددية، إذ يرى أن الفطرة البشرية والغريزة لا تقبل التعددية، إذ لا تكتسب التعددية إلا بالتعلم، فالتكتل شيء فطري. وقد عملت الأنظمة العربية على تكريس الثقافة الوطنية والإقليمية وترسيخها على حساب الاختلاف في الثقافة والرأي، فالتعليم جزء أساسي في تغيير هذه المفاهيم وإن كانت نتيجته لن تأتي إلا على المدى البعيد.

ويلقي الضوء على الأنظمة التعليمية الحالية مبيناً أن خصائصها تقوض الإبداع وتمنع التفكير الحر وتنتج خريجين مدربين بشكل سيء، وقد فشلت تلك الأنظمة من إنتاج



اليقظة العربية الثانية وال

محمد المحفلي

يمثل كتاب اليقظة العربية الثانية والمعركة من أجل التعددية محاولة تحليلية وتنظيرية لتوجيه التحولات السياسية في الوطن العربي نحو أفق يصل بها إلى بر الأمان، والوصول إلى مجتمع يتعايش فيه الجميع بتعددهم واختلافهم، يتجاوز أي شكل معين للنظام السياسي، فالغاية التي يريد أن يؤكد عليها الكاتب عبر أجزاء الكتاب هي الاعتراف بالاختلاف والتعددية، فهي العامل الأساسي لأي استقرار سياسي وحتماً سيؤدي إلى استقرار اقتصادي واجتماعي ومن ثم فكري وعلمي، ومناقشة العالم الحديث.

مؤلف الكتاب مروان المعشر الذي يشغل حالياً منصب نائب الرئيس للدراسات في مؤسسة كارنيغي الأمريكية، يقوم بالإشراف على الأبحاث في واشنطن وبيروت حول الشرق الأوسط، وهو قبل أن يكون باحثاً متخصصاً حول هذه المنطقة المتهبة من العالم كان قد عمل سفيراً للأردن في الولايات المتحدة الأمريكية ووزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الوزراء، يظهر في هذا الكتاب باحثاً يحاول التجرد من أية انتماءات سياسية، أو فكرية والوصول بالقارئ إلى قنوات تتجاوز الضرف الجغرافي والتاريخي الذي يبحث فيه. ومع كل هذه المحاولة للحيادية فإن لمسات مؤسسة كارنيغي بوصفها مؤسسة أمريكية قد أثرت كثيراً في سيرطروحاته لا سيما حين يتعلق الأمر بالصراع العربي الإسرائيلي.

إن الفشل في اليقظة الأولى كما يرى كان سبباً حتمياً لظهور الثانية، معتمدة على أهم ما يمتلكه العالم العربي المتمثل في التنوع العرقي والثقافي والديني والفكري. بل وبأن البداية كانت من تلك الدول التي وضعت على عاتقها حمل مشاغل اليقظة الأولى وإن انطفأت أخيراً.

اليقظة الثانية حلم وواقع: يسجل المؤلف بداية اليقظة الثانية كما يسميها بحادثة إحراق البوعزيزي نفسه مسجلاً اعتراضه المباشر على قمع الشرطة له ومنعه من مزاولته عمله المتواضع الذي يحاول أن يكسب فيه لقمة العيش في ظل استئراء البطالة والاعتراض غير المباشر على الأوضاع المزريّة سياسياً واجتماعياً التي استشرت في تونس بوصفها نموذجاً لغيرها من البلدان العربية، ويقدر ما تمثل هذه الحادثة من تسجيل لانتفاضة ثانية فإنها تعلن فشل الانتفاضة الأولى.

وعلى الرغم من أن هذه اليقظة قد تعثرت على ما يبدو، فإنه قد وضع استديراكاً يمكن أن يجيب على هذا الطرح الذي قد يلقيه القارئ عليه بالقول: إن نتائج هذه اليقظة لا يمكن أن تظهر إيجابياً على المدى القريب بل إنها لن تتكشف إلا على مدى عقود قادمة، وليس على مدى أشهر أو سنوات، وهو إذ يقدم ذلك فإنه يعزو القصور إلى عدم وجود إطار فكري معين ينظم هذه الحركة التي بدأت شعبية، ثم وجدت مع حركتها عدداً من التدخلات الخارجية. ويسوغ قوله بتأخر نتائج هذه الانتفاضة من خلال تقديم الكثير من النماذج التي تأخرت فيها الديمقراطيات حتى عهد قريبة كما حصل في اليابان وإسبانيا والبرازيل.

مفهوم الاعتدال والإسلام السياسي:

على الرغم من أن المؤلف قد وضع الكتاب بناءً على احتياجات التحرر للعالم العربي، فإنه لم يتحرر من سيطرة المؤسسة التي يكتب فيها بوصفها مؤسسة أمريكية لها وجهة نظر معينة نحو المنطقة وعلاقتها بالشرق الأوسط، فقد أفرد اهتماماً كبيراً لما يسميه السلام مع إسرائيل ويحاول إعادة

السياسي. وكل هذا الصراع هو نموذج لعدم الاستقرار الذي سببه الأساسي عدم الاعتراف بالتعدد والتعايش، إذ يرى أن الصراع في الوطن العربي هو صراع من أجل التعددية.

اليقظة العربية الأولى:

في الوقت الذي يرى فيه المؤلف أن اليقظة الثانية جاءت من أجل التعددية فإنه يقول بأن اليقظة العربية الأولى جاءت من أجل التحرر والاستقلال بدءاً من التحرر الثقافي والفكري وانتهاءً بالتحرر السياسي، ولكن كل تلك الثورات لم تنجح ولم تحقق الحرية بالمفهوم الدقيق لها فقد تم استبدال الاستعمار الخارجي بالمحلي. وحتى الاستقلال لم يتحقق بصورة شاملة ولم يتحقق غير الفشل وعدم القدرة على حل القضية الفلسطينية، وضعفت المناقشة لتتحصر بين النخبة الحاكمة والإسلام السياسي فقط.

لقد بدأت كما يرى اليقظة الأولى على يد النخبة عبر إدخال أفكار جديدة وفي مختلف مجالات الحياة قبل الدخول في مرحلة الصدام مع المستعمر وأدواته في الداخل. وكان ذلك في مراكز الإشعاع الحضاري في الوطن العربي، مصر ولبنان وسوريا وتونس، ومع هذا التعدد في الأمكنة فقد كانت تحمل الهوية العربية الشاملة على الرغم من أن بعض المفكرين هم من العرب غير المسلمين.

ويرى المؤلف أن من أهم عوامل فشل اليقظة الأولى هو أن الدول التي تكونت في هذه المنطقة العربية بعدها لم تول اهتماماً لتطوير أنظمة حكم تعددية، ثم تحولت فلسطين إلى قضية عند كثير من الأنظمة للابتزاز السياسي والترويج الأيديولوجي وتأجيل الإصلاح السياسي تحت غطاء هذه القضية.

ثم لما تعرضت الأنظمة السياسية ذات الطابع القومي للهزيمة في الستينيات من القرن الماضي ظهر ما يسمى بالإسلام السياسي، ليس لإيجاد شيء من التنوع بل لجعله فزاعة أخرى في طريق إيجاد أي مظهر لهذا التعدد داخل الدول والأنظمة السياسية.

تقسيم الكتاب:

يقسم الكتاب إلى جزأين، الجزء الأول يعنونه بـ: فهم اليقظة، وفيه أربعة أقسام الأول تكلم فيه عن اليقظة العربية الأولى، والتي كانت تحت راية الاستقلال والتحرر الوطني من الاستعمار، والقسم الثاني وضعه بعنوان إعادة تعريف الاعتدال العربي وفقاً لما يراه من تطورات حصلت على مستوى العالم العربي، والقسم الثالث يناقش فيه الحركات الإسلامية بمختلف توجهاتها ومشاربها فيما إذا كانت ديمقراطية أم استبدادية، وفي القسم الرابع يعيد تقييم ما قد تغير.

أما الجزء الثاني فيعنونه بـ: من اليقظة إلى التعددية، وهو يشمل الجانب التنظيري لما ينبغي أن تكون عليه اليقظة الثانية من وجهة نظره، وقد تضمن هذا الجزء ثلاثة أقسام، الأول: يتحدث فيه عن التعليم ودوره في ترسيخ التعددية لدى الأجيال، والثاني: يناقش فيه اليقظة العربية الثانية والصراع مع إسرائيل ويرى فيه أن السلام إذا لم يكن الآن فلا وقت آخر يمكن أن يكون فيه. والقسم الأخير من الكتاب يتحدث فيه عما يسميه بالقوى الثالثة ودورها في المعركة من أجل التعددية بوصفها قوى خارجة عن تيارات الصراع التقليدي في العالم العربي.

ملاحظة على سبيل التأكيد:

في ملاحظته الأولية للقارئ التي تأتي بعد أن أنجز الكتاب وبعد أن تبدلت الكثير من المعطيات التي وضع الكتاب على أساسها، والتي جرت أغلب أحداثها على مسرح الوطن العربي منذ ٢٠١١ وما تلاه، يؤكد صحة أطروحاته، إذ يرى أن الالتزام بقواعد التعددية وتجاهل الإرادة الشعبية سواء كان ذلك من القوى العلمانية أو من القوى الإسلامية أو من غيرها، هو السبب في عدم إنجاز تحول إيجابي حتى اللحظة، فالدستور الذي أعدّه الإسلاميون في مصر تجاهل إرادة عدد كبير من المصريين؛ مما جعل الجهة المقابلة تصطف ضد الإسلاميين فأنتجت نظاماً يلغي الإسلاميين من المشهد

